مظاهر اليقظة القومية في الشعر الحديث

من ١٩٠٠ ـ ١٩٥٠

الدكتور
سالم أحمد الحمداني

این صفحه در اصل مجله ناقص بوده است

في الوقت الذي تخوض فيه أمتنا العربية أشد معاركها ضراوة وقسوة من أجل تحقيق ذاتها وتأكيد هويتها القومية نرى أن مظاهر اليقظة القومية تمثل فكراً ناضجاً وعملاً قومياً تدرأ به هذه الامة كل ما قد يستهدفها في واقعها وفي مستقبلها .

ان فكر الامة وما ينضوي تحته من لغة وأدب وتراث وتاريخ وثقافة هو الدرع الحصين الذي تستطيع به أية أمة أن تتخطى كل الصعوبات التي تقف في سبيل وحدتها .

ان يقظتنا القومية في العصر الحديث استطاعت أن تصل أمتنا بما كان لها أيام عزها ومنعتها .

لقد كان من أسباب انفراج أزمتنا في مطلع هذا القرن اننا استطعنا أن نتوحد بفعل يقظتنا القومية وماكاد هذا القرن يتجاوز نصفه الاول حتى اتضحت معالم هذه اليقظة لتؤكد دعمها لواقع الأمة العربية ،ولتنهض بحالها ،وتشد من أزرها .

ولعل الأبعاد التي استطاع الباحث أن يتلمسها في هذه اليقظة تقوم على مسائل ثلاث :

الاولى : اللغة العربية كعامل يجتمع عليه وجدان الامة المشترك ، فهو وسيلة للتفاهم والتخاطب من جهة ،كما أنه يصل ماانقطع من واقع الامة بماضيها المشترك وتاريخها الحافل بالامجاد .

والثانية : ظهور المفهوم القومي الذي يجمع أبناء الامة الواحدة ويوحد آمالها ويرسم خطوط مستقبلها .

أما المسألة الثالثة فهي تجسيد الشعر العربي الحديث لمضامين هذه اليقظة وتمثله أبعاد ثلاثة هي :

الماضي : ويتمثل في التغني بالامجاد والبطولات والفخر بالتاريخ والحضارة فلطالما كانت هذه المضامين حوافز ، ونهوضاً .

والحاضر : ويتمثل في استعادة ارضنا المقدسة في فلسطين ومقارعة الاستبداد ومقاومة الاستعمار كما يتمثل في الدعوة إلى الالفة والاشادة بالثورات

وهذه موضوعات لايزال شعراؤنا ينشغلون بها انشغالاً شديداً ، ثم هم لايزالون يعيشونها على أنها واقع مرير تحفز على طغيان العواطف القومية وتستمد أفكارها ومعانيها من هذا الواقع .

وأخيراً : المستقبل : ويتمثل في آمال أبناء الامة في التحرر والوحدة ، ضمن هذه المسائل الثلاثة ، يستطيع الباحث أن يضع يده على مظاهر اليقظة القومية متمثلة بالماضي والحاضر والمستقبل .

أولا : اللغة العربية :

لايختلف إثنان في أهمية اللغة وخطرها ولعلها تقف في مقدمة المسائل التي يجتمع عليها أبناء الامة الواحدة ومرد ذلك كما يرى ساطع الحصري « ان وحدة اللغة ، توجد نوعاً من وحدة التفكير ووحدة الشعور وتربط الافراد بسلسلة طويلة ومعقـــــــدة من الروابط الفكرية والعاطفية (١) . ومعنى ذلك أن اللغة تشكل الحجر الاساس في بناء وحدة الامة ، كما أنها تعتبر احدى المقومات الاصيلة المهمة لعناصر القومية العربية ،والحق : أن مامن لغة من لغات العالم كله استطاعت أن تجمع القلوب وتشد الأواصر ،وتوحد النفوس ، وتعمق الوجدان كما استطاعت ذلك اللغة العربية سواء ذلك في أوقات المحن أم في ساعات نشوة النصر ومن هنا يراها فؤاد الاهواني (أول عامل في تكوين القومية العربية منذ أقدم عصورها حتى اليوم (٢).

والدور الذي حققته هذه الامة ايام محنتها الطويلة القاسية ، لاكثر من ستة قرون ،مثال حي على مانقول فقد اجتازت تلك المحنة ،بفعل تلك الاصرة اللغوية التي طالما لهج بها الشعراء والأدباء والعلماء والفقهاء وغيرهم، ناهيك عن أنها كانت في نظرهم لغة العقيدة الدينية التي صمدت بوجه أعتى الضربات قسوة وشراسة .

---

(١) : في الوطنية القومية ٢٨ .

(٢) القومية العربية : ص ١٩ .

فاذا كان العرب قد امتلكوا بعض الروابط التي هيأت لهم أسباب الصمود والبقاء فإن اللغة كانت أقوى (هذه الروابط على الاطلاق لانها الوسيلة التي يعبر بها شعب ماعن أفكاره وأحاسيسه) (١) .

ومن هنا كان تعبير الشعراء عن أهمية اللغة في وحدة الأمة (يفوق ما كان منهم تجاه المقومات الأخرى للقومية العربية (٢) لان اللغة لم تعد وسيلة للتفاهم والتلاقي فحسب و إنما هي بالنسبة للعرب تصلهم بماضي أمتهم الذي انقطعوا عنه سنين طوالا ، وتقفهم على صورا لبطولة ، ومعطيات الحضارة ، وآفاق المعرفة وروعة الفكر الذي حققه ذلك الماضي . ولاشك أن صور الماضي تلك ، شكلت حوافز نضالية للامة وبعثتها بعثاً جديداً ، والامة التي لاتقف على صرح من التاريخ مجيد لاتستطيع أن تدفع غوائل الاحداث كالتي استطاعت الامة العربية أن تدفعها ، وتنجو من شرها .

لهذا كله (يعتز العرب بلغتهم أيما اعتزاز ، حتى المهاجرون إلى امريكا اللاتينية ،لاينسون انهم عرب ، ولايتخلفون عن مشاركة العرب في مشاعرهم ، وموازرتهم في مشكلاتهم ،منطلقين إلى هذا ببواعث من وحدة اللغة والثقافة وغيرهما) (٣) . ولعل شعراء المهجر في الامريكتين يشعرون اكثر من غيرهم بأهمية اللغة في توحيد ابناء الامة ، ذلك ان الذي يربطهم بأقطارهم وحضارتهم ومثلهم ، وقضايا امتهم ، هي اللغة ، فمنها ينطلقون إلى التعبير عن وجدانهم القومي ، وبواسطتها يؤكدون انتماءهم العربي . وبفضلها يجسدون مشاعرهم وعواطفهم العربية ، وفي قصائدها يتغنون ببلادهم ، ويحنون إلى اهليهم واحبابهم ، وبها يرتبطون بالوطن الأم . فاللغة عند هؤلاء لم تكن (غاية يقفون عندها لان طموحهم في غربتهم — بعد ان تزودوا خير زاد ثقافي قد بلغ بهم القمة التي اشرق منها فجر كامل من الشعور القومي الكامل ، بعيدا

---

(١) : حازم نسيبة : القومية العربية ص ٨٤ .

(٢) : عمر دقاق : الاتجاه القومي في الشعر المعاصر ٢٠٢ .

(٣) احمد محمد الحوفي : وحدة اللغة والوطن في الشعر الحديث : ١٩

عن التيارات التي كانت تعكر صفو الشعور في ارض الوطن العربي نفسه) (١).

ومن هنا نجد شعراء المهجر يجسدون هذه المشاعر العربية النبيلة تجاه لغتهم في شعرهم القومي . فمن ذلك ماقاله الشاعر القروى وهو يحتج على حضارة الغرب ، ويحس بالغربة الفكرية والمكانية اذ هو يعيش مع أكثر احياء الدنيا تحضرا ،لكنه لايجد بين ظهرانيهم ماكان يجده في بلده وبين بني قومه : (٢)

حولي أعاجم يرطنون فما للضاد عند لسانهم قدر
ناس ولكن لاأنيس بهم ومدينة لكنها قفر

وهكذا يجرى شعراء المهجر في اعتزازهم بلغتهم وحبهم وتعلقهم بها .

اما شعاراؤنا في المشرق العربي فقد اتخذوا من تقديس لغتهم والتغني بها مجالا لتأكيد صدة مشاعرهم القومية :

من ذلك اعجاب الشاء محمد بهجة الاثري بلغته وتقديسه لها وابداؤه العواطف النبيلة تجاهها في قوله : (٣)

أأم لغات العالمين بلاغة
وطيب مذاق واختلاف طعوم
بيانك ؟ أم نبعٌ من الخلد كوثر
ترقرق عذباً ؟ أم رحيق كروم
سقى كل لمّاح البيان زلاله
مصفى وروى طيع كل حليم
فدى لك ياروح الجمال وسره
لغات الورى من حادث وقديم
ولو سامني دهري بحبيك لافتدت
هواك حياتي حسبة ونعيمي

(١) فؤاد الشايب : دور الادب في معركة التحرير والبناء ٢/٣٧٧ .
(٢) جورج صيدح : ادبنا وأدباؤنا في المهاجر الامريكية : ٢٥ .
(٣) :ملاحم وازهار : محمد بهجة الاثرى ص ١٨ .

وتدور أبيات قسطالّي الحمصي الحلبي حول هذه المعاني فهو يؤكد على جمال حروفها وعذوبة الفاظها وقوة تركيبها كما يشير الى فصاحتها وبلاغتها ويقول : (١) .

حـــروفـــهـــا لمـعـــان لاتـــطـــاولـــهـا
في حسنها بنـت يونـان ورومان

الـفـاظـهـا درر تـركـيبهـا ســـــــور
آيـاتهـا غـرر في كل قـرآن

عـزيـزة الفـضـل لم يجـحـــد محـاسنهـا
الا جهـــول بايجـاز وتـبـيـان

لهـــا الـفـصـاحـة تغري اينما وجـــدت
شـهـودهـا مثل قـــس او كسحبان

وفـي البلاغـة هـل خـــود تـضـــارعـهـا
داخلـهـا صـاعـد يـسـمو لقحطـان

لاشك ان هذه العواطف الجياشة تجاه اللغة تدل على وعي عميق لقيمتها وأثرها في الوجدان العربي .

وقد شهدت الامة العربية في مطلع هذا القرن صراعاً عنيفاً مع اعدائها وكان هذا الصراع من اشد الحوافز على اللهج باللغة وتقديسها والدفاع عنها ، فهذا حليم دموس يشيد بدور اللغة ، ويطلب من بني قومه الدفاع عنها فيقول : (٢)

صونوا حمى اللغة الفسحى فليس لكم من دونها وطن يعلو له شأن

ثم يؤكد دورها في الوحدة :

ستظل رابـطـة تـؤلف بـيـنـنـــا فهـي الـرجـاء لناطق بالضـاد

ويؤكد هذه الوحدة بفضل اللغة أنيس المقدسي فيقول : (٣)

---

(١) : الادب العربي المعاصر في سوريا : سامي الكيالي ص ٩٦ .
(٢) عمر دقاق : الاتجاه القومي في الشعر المعاصر : ٢٠٤ .
(٣) الاتجاهات الادبية ١٠٢/١ .

ان فرق الايمان بين جموعنا فلساننا العربي خير موحد
قربت به الاقطار وهي بعيدة وتوحدت من بعد فت في اليد

ويشير الرصافي الى اثر اللغة في وحدة الأمة فيقول : (١)

وتجمعنا جوامع كبريات واكبرهن سيدة اللغات

ويؤكد بدوي الجبل فكره القومي الناضج حين يشيد بوحدة الارض ، ويرى ان اللغة عامل انساني من عوامل الوحدة فيقول : (٢)

كل الربوع ربوع العرب في وطني مابين مبتعد منها ومقترب
للضاد ترجع أنساب مفرقة فالضاد افضل أم برة وأب
تفنى العصور وتبقى الضاد خالدة شجى بحلق غريب الدار مغتصب

ومن ذلك قول خليل مطران متحدثاً عن اثر اللغة في وحدة العرب: (٣)

تضمهم في سبيل الضاد جامعة كل بها لأخيه خير معوان

ولعل قصيدة شوقي التي تحدث فيها عن جمال اللغة العربية ، وأثرها وسحرها تقف في قمة هذا الاتجاه، وفيها يقول: (٤)

ان الذي ملأ اللغات محاسنا جعل الجمال وسره في الضاد

وقصائد شعرائنا في هذا المعنى كثيرة رأيناان نكتفي بهذاالقدرمنها.

واذا كان الحس القومي في بداية هذا القرن قاصراً عن ادراك الوعي العميق لفكرة القومية العربيه، إلا أنه لم يفت الشعراء التعبير عن وعي يمتلك النضج الفكري، فيما يخص مدى فاعلية اللغة العربية، واثرها في حياة اهلها ووحدتهم وواقعهم ومستقبلهم، وانهم كانوا يدركون ان لغتهم (جامعة اللسان، واحدى المقومات الرئيسية للشعور القومي ، والرابطة الاساسية بين الشعوب العربية) (٥) كما كانوا

(١) ديوانه : ٥٦٥ .
(٢) ديوانه : ١٧٣ .
(٣) ديوانه : ٣٥٧/٤ .
(٤) الشوقيات : ١٣٥/١.
(٥) عمر دقاق : الاتجاه القومي في الشعر المعاصر : ٢٠٢.

يدركون ان هذه اللغة هي من أقوى عناصر الوحدة القومية من القديم إلى الحديث .

ولعل من أشد مايدل على هذا الوعي لاهمية اللغة ودورها في اليقظة القومية الوقفة الشجاعة الواعية التي وقفها شعراؤنا حينما أثيرت مسألة العامية والفصحى ، والتي روج لها الاستعمار ودعى اليها نفر ممن لاتربطهم بهذه الامة وتراثها أصالة أو عراقة ، فكانت الدعوة إلى الفرعونية والفينيقية وغيرها لاتهدف إلى استبدال الفصحى بالعامية فحسب ، وانما تهدف إلى الاستعاضة عن ماضي الامة العربية وامجادها بأمجاد المصريين والسوريين القدماء. وبذلك يستطيع الاستعمار ان يستهدف الامة العربية بهجر لغتها والصدود عن أمجادها الحافلة بالعطاء. ولقد شمر شعراؤنا المحدثون عن سواعدهم الفتية بالوقفة الجريئة. وانحس القومي النبيل ، والشعور العربي الاصيل يدافعون عن اللغة التي توحد ثقافتهم وتجسد امانيهم القومية العريضة.

وهذا حافظ ابراهيم ينظم قصيدته المشهورة على لسان اللغة الفصحى فيقول(١) :

رموني بعقم في الشباب وليتني
عقمت فلم أجزع لقول عداتي

وسعتُ كتاب الله لفظاً وغاية
وما ضقت عن آي به وعظات

— — — — —

انا البحر في احشائه الدر كامن
فهل سآلوا الغواص عن صدفاتي

— — — — —

(١) ديوانه: (١)

ايطربكم من جانب الغرب ناعب
يدادي بوأدي في ربيع حياتي

اما محمود غنيم فيشير في دفاعه عن اللغة الفصحى إلى دورها في توحيد الافكار بين العرب فيقول: (١)

وماوحد الجمع مثل اللسان ولا اتحد الجمع الاغلب
اذا اتحد الفكر في معشر تجمع من شمله ماانشعب

ويؤكد شوقي أثر الفصحى في وحدة ابناء الامة فيقول: (٢)

ونحن في الشرق والفصحى ذوو رحم ونحن في الجرح والآلام اخوان

ويشير علي الجارم، صراحة إلى الوحدة، بتأثير منها، ويرى أنها رمز الوحدة، ويدعو إلى حمايتها والحفاظ عليها ويقول: (٣)

وحببوا لغة العرب الفصاح لهم فان خذلانها للشرق خذلان
قولوا لهم انها عنوان وحدتهم فانهم حولها جند وأعوان

وعبر عن هذه الوحدة الشاعر محمد عبد الغني حسن ببيت واحد فقال: (٤)

هي أمة لغة القرآن تربطها والمجد يجمعها والاصل والحب

وهكذا يجسد شعرنا الحديث مشاعر اليقظة القومية للامة العربية.

والحق ان ظهور مسألة العامية في مطلع هذاالقرن كان مسألة خطيرة جداً، لانها كانت تستهدف الامة في شخصها وذاتها، في وقت بدأ فيه العرب يتخذون من اللغة وغيرها من عناصر القومية وسائلَ وسبلا، بها ينهضون من الكبوة التي طال أمدها. وما من شك ان تلك المعركة كانت ضاربة، لكن شعرنا وقف يستمد من ايمانه، العون، على المجالدة والصبر، حتى استطاع ان يهزم تلك الدعوة الخبيثة، التي راح أنصارها ينفثون السم الزعاف من أجل ترويجها بحجج واهية لاتنم الا عن روح اقليمي أو شعوبي أو عنصري خبيث. لكن هذه اللغة استطاعت

---

(١) ديوانه : ١ ٧
(٢) الشوقيات : ١٢٥/٢ .
(٣) ديوان الجارم : ١٨٢/٤
(٤) احمد الحوفي : وحدة اللغة والوطن في الشعر الحديث : ٢٢ .

ان تمنح اصحابها وأحبابها قوة الصمود، وعمق الايمان، بما تمتلك من اصالة ، وهي هي كان لها شأن في توحيد الأمة العربية التي شقت مسارها إلى ابعد الحدود.

ثانياً المفهوم القومي :

ليس سهلا على الدارس أن يصدر حكماً سريعاً حول الفكر القومي الذي وصل في هذه المرحلة حدا كبيراً من النضج ، ذلك لان القومية مرت بأكثر من مرحلة.فقد ارتبطت بعدة عوامل سياسية وفكرية واجتماعية ودينية ، ثم أنها وليدة ظروف مختلفة ، ومن هنا فانها لم تنته إلى شكلها الواعي الابعد أن تبلورت وتجاوزت الكثير من المعوقات والواقع ان الفكرة القومية قد نشأت (في أوائل القرن التاسع عشر ، اذ كانت هناك دول كثيرة تحكم كل واحدة منها أمما عديدة ..... وكان من الطبيعي أن تتغير وتتطور أوضاع معظم الدول وفق مقتضيات «الفكرة القومية» ، ومطالب«مبدأ القوميات « (١) .

ولاشك أن هذا التاريخ لاينسحب على نشوء الفكرة القومية للامة العربية، ذلك ان الأ مة العربية كانت آنئذ مثقلة بمتاعبها مع العالم المسيحي ، وربما نستطيع القول ان نشوء (فكرة القومية العربية بمعناها التام قد بدأ في البلاد العربية ..... في النصف الثاني من القرن التاسع عشر) (٢) .

ولقد بدت مظاهر هذا الاتجاه حين بدأ العرب يضيقون بمعاملة الاتراك لهم وحين ضاقت أمورهم ، وبدأوا يشعرون باستغلال الاتراك لهم في الحروب. التي كانت تنهك العثمانيين . كما كانوا بفعل عوامل النهضة الحديثة يتأثرون بما يحدث في العالم الغربي الذي بدأت أممه تسعى إلى التحرر من أرتباطاتها بغيرها من الدول القومية ، وكانو أيضاً يسمعون عن اشتعال الوعي القومي الذي بدأت طلائعه تصل إلى كل مكان من العالم .

---

(١) ساطع الحصرى : نشوء الفكرة القومية ص ١٠ .

(٢) : المصدر نفسه ص ١٧٧ .

كذلك اتيح لبعض العرب المتنورين ان ينشئوا (جمعيات تطالب بحقوق العرب في السلطنة العثمانية .

كالجمعية التي تأسست سنة ١٨٨١ باسم « جمعية حفظ حقوق الملة العربية» وقد نشرت نداءً إلى العرب . . . . تحت عنوان » بيانات الامة العربية) تدعوهم فيه إلى الاتحاد و لمطالبة بالحقوق القومية) (١) .

والحق ن هذه لجمعية كانت نواة لجمعيات تلتها بعدئذ حين أمعن الاتراك في قسوة العرب — ومن هذه لجمعيات : (العربية الفتاة) و (الجمعية القحطانية) وجمعية العهد وغيرها ، ولاننسى ان تفكير بعض العرب في أحقيتهم بالخلافة والمطالبة بذلك كان من الحوافز التي نبهت الاذهان إلى هذه الافكار وان كان مثل هذا التفكير ممتزجاً باعتقاد ديني .

ولاشك ان هذه الصورة التي أشرنا اليها تتفق تمام الاتفاق مع اولى مراحل المفهوم القومي العربي ، ذلك أن التفكير به لم يصل مرحلة النضج ، فمن جهة ، كان العرب — رغم احساسهم بظلم الاتراك لهم — يرتبطون معهم بشعور ديني فياض ، تمثل عندهم بنظام الخلافة ، ومن ناحية أخرى لم تتبلور في أذهانهم المفاهيم القومية الحديثة التي شاعة في اوربا ، كما كانت العاطفة الدينية لاتزال تربطهم بالعثمانيين باعتبارهم مسلمين ، وتبعدهم عن الاوربيين باعتبارهم مسيحيين بل كان الكثيرون منهم يعتبرون الحرب التي شنتها اوربا على الدولة العثمانية امتدادا للحروب الصليبية .

ولذلك بقي المفهوم القومي يرتبط لفترة طويلة بالمفهوم الاسلامي وكأنهما مفهوم واحد وقد أشار إلى هذه المسألة أغلب الذين أرخوا للحركة القومية وتاريخها الطويل (فالناحية الاسلامية بمدلولها الثقافي والتاريخي بقيت حتى الفترة الحديثة تخالط الحركة القومية وتتداخل معها ، ذلك لان الاسلام والعروبة ، اقترنا فترة طويلة قبل أن تتميز المسالك) (٢) .

(١) انيس المقدسي : الاتجاهات الادبية ص ١٠٣

(٢) : منيف الرزاز وعبد العزيز الدورى وآخرون : دراسات في القومية ص ٢١

ويقول عبد المنعم خلاّف (نحن أذن حين نجعل الدين أصلا من أصول القومية العربية ، انما نعتمد في ذلك على التاريخ المشترك لسكان هذه المنطقة والماضي الطويل الذي انصهر مع الزمان جيلا بعد جيل) (١) .

ولاشك أن ذلك الجيل من المفكرين لم ينزع من ذهنه هذا التفكير على اختلاف طبقاته ورجاله ، فالشبيبي محمد رضا كان يرى (الاعتداء على جزء من الدولة العثمانية اعتداء على الاسلام والمسلمين (٢) .

وقد كان الرصافي وحافظ وابو المحاسن ومحمد حبيب العبيدي والرافعي وغيرهم يضربون على هذا الوتر .

ومن هنا يمكن اعتبار اختلاط المفهومين القومي والاسلامي ، مرحلة أولى من مراحل الفكر القومي .

ومما يلفت النظر في هذا الشأن ، أن اقطاب الحركة القوميه الذين أسسوا الجمعيات السرية على عهد الاتحاديين والذين طالبوا بالحقوق القومية المشروعة للعرب كانوا يؤمنون بهذا المفهوم في كثير من منشوراتهم التي اصدروها.والواقع ان هذا الاتجاه لم يضعف أثره الاّ بعد أن اسقط الاتحاديون نظام الخلافة والغوا لقبها ونادوا بالدعوة الطورانية . وكان هذا الالغاء أيذاناً بالتنكيل بالعرب الذين رأوا في الخلافة آصرة قوية تجمعهم بالاتراك وبهذا ايضاً يسفر الاتحاديون الاتراك عن نيتهم في الدعوة إلى الطورانية ، مما أثار حفيظة الكثيرين من المفكرين العرب بالدعوة إلى القومية العربية .

وقد تجلت هذه الدعوة أول الأمر ببعض (صيحات أثنين من المفكرين الادباء وهما عبدالرحمن الكواكبي «١٨٤٩ — ١٩٠٢» وابراهيم اليازجي «١٨٤٧ — ١٩٠٦» (٣). ولم يقف أنيس المقدسي عند أثر هذين الرجلين في الدعوة إلى القومية العربية . وانما يضيف اليهما أسماء جماعة آخرين منهم

---

(١) احمد فؤاد الاهواني : القومية العربية ص ٥٦.
(٢) قصي سالم علوان : الشبيبي شاعرا ص ٢١٨ .
(٣) أنيس المقدسي المقدسي : الاتجاهات الادبية ص ١٠٣ .

أديب أسحق ويوسف النبهاني ونجيب العازوري الذي اصدر كتاباً أسماه يقظة الامة العربية » (١) .

غير أن هذه الدعوات لم تتبلور إلى مفهوم قومي ناضج الابعد الحرب العالمية الثانية . فقد كان العرب طيلة الثلث الاول في هذا القرن ينشغلون بمقارعة الاستعمار ومقاومة استبداد الحكام ،وخصوصاً ان الأمة العربية كانت قد تقطعت أوصالها بفعل معاهدة (سايكس بيكو) التي جزأت الوطن العربي إلى أجزاء متعددة تحت السيطرة الانكليزية والفرنسية ، ولذلك فقد انشغل المفكرون والادباء باثارة الحوافز الوطنية كل في قطره دون أن تجمعهم آصرة العروبة بشكلها الصحيح العميق . ولذلك فقد كانت تلك الصيحات أقرب إلى الناحية الوطنية منها إلى الناحية القومية الناضجة ، فكنا نجد شعراء العراق مثال الرصافي والجواهري والشبيبي يتوجهون بقصائدهم إلى الشعب العراقي ويثيرون نخوته الوطنية ضد الانكليز والحكام ، وكذلك وجدنا في مصر أمثال هذه الصيحات عند حافظ ومحرم والجارم وفي سوريا عند عمر أبي ريشة وغيره . وبذلك يشوب الدعوة إلى القوميةدعوات وطنية تختلط بها لكنها تمدها بروح المقاومة والثورة .

وتنتهي الحرب العالمية الثانية ، وتبرز القضية الفلسطينية ، ويتنبه المفكرون العرب الى واقعهم ، ويشعرون معه أن المأساة الكبرى في واقعهم تكمن في الفرقة التي قضت من عضدهم ، وينادي الشعراء وعلى رأسهم الفلسطينيون الى توحيد الصفوف وجمع الكلمة ، ويستجيب الكثيرون الى الدعوة القومية الخالصة لتصبح أقرب الى العمق من تلك الدعوات التي اختلطت بمفاهيم دينية ووطنية ، وحيث ان العرب المسيحيين كانوا أشد اتصالا بأوربا من العرب المسلمين ، لذلك (نجد التفكير في القومية العربية بدأ عند العرب المسيحيين قبل أن يبدأ عند المسلمين منهم) (٢) .

---

(١) : المصدر السابق ص ١١٢ .

(٢) :ساطع الحصري : نشوء الفكرة القومية ص ١٧٧ .

ولاشك ان شعور الامة العربية بواقعها المتمزق ، المتمثل بالسيطرة الاستعمارية على اراضيها ، وكذلك شعورها بالواقع المتهرىء نتيجة هزيمتهم أمام أسرائيل مما انتهى بها الى معاهدة التقسيم ، كل ذلك قد حدا ببعض المفكرين الى تحسس الواقع من خلال منطلق جديد للمفهوم القومي الذي يقوم أول مايقوم على الدعوة لوحدة الامة العربية ونضالها ضد الاستعمار والصهيونية والرجعية.

وانطلاقاً من هذا الواقع فقد سلك ، المفهوم القومي منعطفاً جديداً يتأثر من ناحية بالمفاهيم القومية الغربية اذ يتخذ من بعض فلسفاتها متكأ جديداً ولكنه يحاول ان يلائم بينها وبين حاجات الامة ومعطياتها الثقافية ، ومن ناحية أُخرى يطرح عن هذا المفهوم القومي المعاصر ماعلق به من مفاهيم دينية وماختلط به من عناصر الاقليمية او الوطنية الضيقة التي تعني بقضايا محددة بعيدة عن آفاق الفكر الناضج الذي يجعل من القومية مفهوماً واسعاً شاملا لاينتاقض مع الدعوات الانسانية الشاملة.ولسنا هنا بصدد تقويم الاتجاه الآخر من الحكم عليه ، فهو لايعيننا في هذا البحث بقدر مايعنينا تجسيد الشعر له وتعبيره عن مضامينه ، والا فانه لابد من القول انه قد صارت له منعطفات جديدة حين تأثر ببعض المفاهيم والاتجاهات العالمية المختلفة ، مما أدى الى ظهور تيارات ومدارس جديدة لاتخفى على الواعين من ابناء الامة العربية .

وبعد فهل استطاع شعرنا الحديث ان يعبر عن المراحل المختلفة التي مرّ بها المفهوم القومي ، وهل تمكن شعراؤنا من تجسيد الأماني القومية التي نبضت بها قلوب الملايين من أبناء هذة الامة في مختلف مراحل تطور هذا المفهوم .

لاشك ان الشعر العربي قد عبر عما كانت تصبو اليه جماهير الامة العربية منذ أوائل هذا القرن وإنه قد رافق هذا المفهوم في مراحله المختلفة . ويكفي ان نلقي ضوء على بعض ماقيل من شعر قومي لندرك الى أي مدى كان

اختلاط المفهومين الديني والقومي ، وماقيمة هذا الاختلاط من الناحيتين الفكرية والنضالية ، ثم ماأثره في يقظة الامة ؟

فشعراء (مصر حافظوا على الوحدة الاسلامية والقومية في شعرهم ومن هؤلاء أحمد محرم وعبدا لمطلب وشوقي وحافظ وخليل مطران ، ومنهم شعراء لبنان كقول وصفي قرنفلي وهو مسيحي :

أوعار صلبي فتى يعربسي يتغنى بالسيد العدناني

أنكنا لولا الرسول سوى العبدان بئست مبيئة العبدان) (١)

وحين اشتدت المحنة بدمشق سنة ١٩٤٧ وقف الشاعر العراقي محمد بهجة الاثري يصرخ بأعلى صوته غيرة على العروبة «والاسلام فقال : (٢)

ياحرة لم تدن يوماً لاسرها ويافتاة المطاعيم المطاعين

ان العروبة والاسلام مافتئا هنا بواديك في عز وتمكين

هما جناحاك مدّ الله ظلهما على البرية من دنيا ومن دين

ويختلط المفهوم القومي بالمفهوم الاسلامي في أبيات أمين ناصر الدين التي يرد فيها على جريدة (أقدام) التي كانت تروج للطورانية ويقول : (٣)

أنسيت قدر العرب يا (أقدام) ولهم على هام النجوم مقام

نحن الالى بنت النبوة بيننا ذاك البناء فازهر الاسلام

نحن الألي بلسانهم قد أنزلت آي الكتاب وذلك الالهام

ولعل الحروب التي كانت تستهدف تقويض الدولة العثمانية الاسلامية من اوربا المسيحية — والتي كانت تعتبر لدى العرب المسلمين امتداداً للحروب الصليبية منذ عهد صلاح الدين . كانت من اكبر الحوافز التي نبهت العرب الى خطر ذلك التهديد الصليبي ، وقد وضعت هذه المسألة امام العرب مسؤولية

---

(١) يوسف عز الدين : تطور الفكر القومي : ١٦ .

(٢) ملاحم وازهار : ص ١٩٥ .

(٣) انيس المقدسي : الاتجاهات الادبية : ١٣٠ .

كبيرة وكأنها تمتحن موقفهم ، وكان طبيعياً ان تتنصر آصرة الدين حتى في احلك المواقف التي كان يشعر فيها العرب باستبداد الترك معهم وظلمهم لهم حتى (ان الشيخ فؤاد الخطيب الذي غدا بعد ذلك شاعر الثورة العربية الكبرى التي قامت ضد حكم الاستانة هو نفسه الذي يخاطب الترك بقوله :

اخواننا الاتراك مدوا لنا يداً
من الود انا قد مددنا لكم يداً (١)

ولاشك ان الذي يربط هذا الاخاء هو الدين وحسب .

ويختلط هذان المفهومان في شعر الرصافي بحيث انك لاتجد بينها حداً فاصلا حتى في حديثه عن الوحدة (٢) :

إذا جمعتنا وحدة وطنية
فماذا علينا ان تعدد اديان

اذا القوم عمتهم امور ثلاثة
لسان وأوطان وبالله ايمان

فأي اعتقاد مانع من اخوة
بما قال انجيل كما قال قرآن

ويظهر هذا الطابع المختلط لدى الشعراء المسيحيين بحيث يشكل ظاهرة ايجابية للوحدة القومية ، كقول الشاعر القروي : (٣)

انا العروبة لي في كل مملكة انجيل حب ولي قرآن انعام
شغلت قلبي بحب المصطفى وغدت عروبتي مثلي الاعلى وإسلامي

وإذا كان الاسلام قد شد من ازر العروبة في مرحلة اختلاط المفهومين تلك بل هو قد غذاه وامداه بطاقة فكرية ضخمة وصار في كثير من اوقات المحن قاعدة صلبة ينطلق منها العرب توحده ثقافة عربية وإسلامية تضرب

(١) : عمر دقاق : الاتجاه القومي في الشعر المعاصر ، ٣٨ .
(٢) : ديوانه : ٤٠٢ و ٤٠٣ .
(٣) ديوانه : ٤٥١ .

بجذورها الى عصر الامويين والعباسيين ، فان هذا المفهوم القومي قد جابهه على النقيض من ذلك مفهوم آخر يفت من عضده ويخدعه بأسم الوطنية والتاريخ وعراقة الفكر ذلك هو الاتجاه الاقليمي الذي سعى الى خلقه الاستعمار وبه خلق (كيانات صغيرة متعددة في قلب العالم العربي وخلق اوطان متميزة تتسم حدودها بالقداسة وكان أبعد هذه النزعات خطراً الفرعونية في مصر والفينيقية في لبنان)(١) وإذا (كان الشعر العربي قد اصيب بالتشرد عندما تسربت هذه الاختلاطات الموبؤة الى الجسد العربي في دور نقاهته حيث كان بعض الشعراء يمضون في اناشيد وثنية خادعة يهللون بها لأمجاد مزيفة...(٢)

في هذا الوقت بالذات ، وإزاء هذه الظاهرة المريضة والخطيرة ، يبرز الوجه الناصع للثقافة القومية في وحدة الموقف ، ووحدة الفكر ، ليقاوم تلك الدعوة المزعومة ، فإذا بنا نسمع صيحات الرصافي والاثري وحافظ ومردم والبزم ، ذودا عن العربية وفكرها .

والحق (ان التنديد لم يصدر عن شعراء مصر ، وانما صدر عن شعراء الشام والعراق بالدرجة الاولى (٣) ، فهذا هو الرصافي يقول : (٤)

من جور مصر على العروبة انها تتعمد التمصير في آدابهـــا
من اين كانت مصر في اقباطها كمواطن الاعراب في اعرابها
ابت العروبة ان يفوق هزارها صرد زقى في مصر زقي غرابها)

على ان هذه الاصوات التي روجّت للاقليمية قابليتها أصوات أخرى مخلصة تدعو إلى الوطنية دون أن تمتلك بعد الرؤية الذي ينتهي بها إلى الدعوة القومية العميقة المتأثرة بالدعوات القومية الغربية من ذلك أبيات محمد بهجة الاثرى التي

---

(١) عمر دقاق : الاتجاه القومي : ١٠٤.
(٢) انظر : الادب في معركة التحرير والبناء :فؤاد الشايب : ٣٧٢ .
(٣) عمر دقاق : اتجاهه القومي في الشعر المعاصر : ١١٩ .
(٤) : ديوانه :١٧

تبدو فيها الروح الوطنية المتعانقة مع العروبة الصافية والتي يقول فيها. (١)

وطني بلاد الضاد حيث هفا به نطق وان ادعى فتى بغداد
اني أوقع صلك تفديتي لها بدمي وآنف خطه بمداد

ولاشك ان هذه الأبيات تبين عن عواطف وطنية نبيلة تجاه الوطن. وقد يختلط هذا المفهوم الوطني الخالص مع المفهوم الديني بحيث لاتستطيع ان تفرق بين المفهومين وهذا يدل على ان المفهوم القومي بقي إلى نهاية النصف الاول من هذا القرن يتأرجح بين الدين والوطنية والعروبة. من ذلك ابيات الاثري الوطنية التي يقول فيها :—

الا في سبيل الله والوطن الغالي بعادي عن داري وعرسي وأطفالي
أرى كل ماتحوى يداى لخالقي به كل حق ثم للوطن الغالي (٢)

ويبدوان هذه الأبيات نظمت في المنفى حيث كانت سلطات العهد البائد قد أبعدت الشاعر عن بغداد، فحن اليها ونظم بشأنها قصيدته تلك.غير ان معالم الدعوة الواعية للقومية العربية بدأت تتوضح شيئاً فشيئاً من بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وعلى الخصوص بعد صدور قرار التقسيم، فسرعان ماامتد مفهوم القومية العربية اعصاراً قويا شديد التأثير في نفوس العرب حتى أولئك الذين كانوا يتحمسون للخلافة العثمانية ولعل السبب في ذلك، ان هذه أنطلقت من صميم ظروف العرب وانها كانت الرد الحاسم على الواقع المتهرىء الذي واجه الامة العربية.وقد اسهم الشعر الحديث في التعبير عن هذا التيار اسهاماً شديداً يدل على فهم صحيح للاتجاه القومي الواعي الذي انطلق من صميم مشاكل العرب ولايعني هذا ان تلك الدعوة لم تكن لها جذور ممتدة قبل اربعينات هذا القرن فهذا هو الكاظمي يدعو إلى وحدة العرب دعوة فيها فهم عميق يقول فيه: (٣):

ايها العرب تعالوا نلتقي في طريق المجد حتى نصلا

(١) ملاحم وازهار ١٢ .
(٢) المصدر نفسه : ٩٧
(٣) ديوانه : ١/٢٩٥ .

نلتقي تحت لواء واحد سجل النصر له اذ سجلا
ونولي الأمر فينا قائداً يبعث العزم ويحيى الاملا

وترتفع عواطف العروبة في دم محمد مهدي البصير فيعبر عن استعداده للموت في سبيل العروبة اذ يقول. (١)

وغلى الدم العربي فيّ فواجبي تضميخ مجدي بالدم المهراق

ويصرخ خليل مردم بالعرب ويستفز نخوتهم من أجل عروبتهم ووحدتهم ويدعوهم إلى تحسسهم واقعهم في أبيات قوية شديدة ويقول: (٢)

بني العروبة كم من صيحة ذهبت لو يستثار بها الموتى اذن ثاروا
ان الحوادث لو ادركتم عبر فأين لاذين ألباب وأنصار
الرحم واشجة والدار جامعة فلم تقطع أرحام وأقطار

وفي أبياته الثائرة القوية يدعو كاظم السوداني دعوة صريحة إلى استخدام القوة في الذود عن العروبة والوطن ويقول: (٣)

بني يعرب خلو السلم قد حانت الحرب وأنتم بها اولى وأجدر ياعرب
بني يعرب نهضا ليس يجدي احتجاجكم لقد جلت الجلى وقد عظم الخطب
سلوا جيوش الناهضين وحربهم وكيف عن الأوطان في بأسهم ذبوا
غداة دعتهم غيرة عربية وهل غيرة الا وقد سنها العرب

ويلاحظ في هذه الابيات التأكيد على عنصر العروبة، ومعنى هذا ان دارس الأدب لايستطيع ان يضع حدوداً محددة للظواهر الادبية اذ ان هذه الأبيات نظمت في العشرينات من هذا القرن وهي تدل على وعي جيد لعنصر العروبة.

وجدير بالملاحظة ان التعبير عن المفهوم القومي يجيء أحياناً بلفظة العروبة كما رأينا، كما يجيء بلفظة القومية أحياناً أخرى، من ذلك مايقوله فوزي المعلوف تعبيراً عن المفهوم القومي:

(١) ابراهيم الوائلي : ثورة العشرين في الشعر العراقي : ٥١ .
(٢) : سامي الكيالي المصدر المصدر السابق : ١٥١ .
(٣) : ابراهيم فالوائلي . المصدر السابق : ٧٥ .

فلتحي قومية كانت لنا نسباً يضم اشتاتها مافاتنا النسب
ومن يكون بلا قوم يدل بهم فلا يشرفه دين ولا لقب(١)

وهذا أبو ريشة يقول :

هل ترى فوقها سوى كل حر يقحم الموت في سبيل العروبة

ويقف على رأس هذه القصائد القومية قصيدة ابراهيم اليازجي التي يقول فيها : (٢)

أولستم العرب الكرام ومن هم الشم المعاطس

وقصديته البائية وهي أشهر ماقيل في هذا المفهوم وفيها يقول :

تنبهوا واستفيقوا أيها العرب فقد طما الخطب حتى غاصت الركب

أما اللهج بذكر العروبة بالتفكير القومي الناضج فيظهر في هذه الابيات للكاظمي ويقول فيها : (٣) :

امم العروبة لانجاة لمدبر يبغي النجاة ولاحياة لمحجم
كوني جميعاً فالتفرق لم يزل مذ كان من نذر القضاء المبرم
ضمّي القوى وتجمعي في وحدة عربية تحمي اللواء وتحتمي

أما الرصافي فهو من اكثر الشعراء تغنياً بالعروبة وامجادها وماضيها ويظهر ذلك في كثير من قصائده التي منها : إلى الشبان ، ويقظة الشرق،وإلى الامة العربية ، وصبح الاماني ، وبعد النزوح ، ونحن والحالة العالمية ، ورؤيا صادقة ، وقصر الحمراء ، وفي هذه القصائد من النضج في وضوح الرؤية ما يدل على طول باع الرصافي في هذا الشعر .

وهذا أبو الفضل الوليد يؤكد على مفهوم العروبة وأهميته فيقول :(٤)

الشام اخت للعراق وفيهما نور العروبة للضليل الناشد
اهلوهما ابناء عم كلهم عرب بآداب لهم وعوائد

ولسنا في عجلة من ايراد النصوص فلنا معها في الصفحات المقبلة صحبة طويلة.

---

(١) ديوانه: ٣٠
(٢) يوسف عز الدين : تطور الفكر القومي ١٠ – ١١" .
(٣) ديوانه : ٢٥١/١ .
(٤) عمر دقاق ـ الاتجاه القومي ٢٤٧ .

ولعل من أشد ما اجتمعت حوله قصائد الشعراء هو هذا المفهوم الذي رأينا في قصائده نضجاً قومياً وبعداً واضحاً . ولولا أن يبرز هذا التيار بشكله الواضح العميق ، ولولا أنه رصد احداث العروبة ، ودعا ابناء الأمة إلى الوحدة وغيرها ، ولولا أنه جسد في فكره الواضح آمال الأمة العربية وآلامها ، وصور ماضيها وتغنى بمواقفها ، لولا ذلك كله ما كانت قلوب الشعراء في قصائدهم لتجتمع ولتجعل يقظتهم القومية قوة تحفزهم على النهوض من الكبوة الطويلة .

وهذه القضايا هي التي اجمع عليها الشعراء واجتمعوا ، فصارت موضوعات جديدة لم يألفها شعراء القرن الماضي حيث لم يكن أمامهم مايعبرون عنه في هذا المجال .

ثالثاً : مضامين اليقظة القومية في الشعر الحديث :

١ — الماضي :

وهذا هو البعد الأول الذي تجتمع عليه يقظتنا القومية وهو بعد يمتلك من العطاء والخلود ويكتنز من الفكر والعلوم مايجعل اثارته والرجوع اليه حافزا من الحوافز التي تنهض بوضع الإمة وتستفزها لتخطي مايمكن أن يكون عائقاً على النهوض .

ان الذين يتجاهلون حضارات العالم مخطئون وخصوصاً اذا كانت الامة بحاجة إلى ماتستند عليه وتنطلق منهفي مجاهدة الواقع المتخلف .

وحين افاقت الأمة العربية من نومها الطويل في نهاية القرن التاسع عشر ، وجدت نفسها اسيرة ظروف صعبة تتقاذفها وتقذف بها إلى شاطيء المجهول ، وكان أشد مايؤلم المفكرين ان ينقطع ابناء الأمة عن تاريخهم الحضاري الحافل بالامجاد وبذلك بدا وكأن سلسلة من حلقات التاريخ العربي والاسلامي قد انقطعت وبانقطاعها تنفصل الأمة عن ذلك المجد .

وكانت صورة واقع الأمة مهلهلة ومعتمة يحيط بها ويؤثر فيها ثلاثة من العوامل : الاستعمار الاوربي الذي يحقد على امتنا والاحتلال العثماني بجهله وغبائه

وعنجهيته التي اضاعت فرصة العمر بخسارة العرب وثالثه الاثا في الأمة في ابنائها: جهل وضعف وخور في العزيمة وهذا كله يشكل افلاساً شديداً لايمكن تداركه الا بصعوبة .

فما العمل اذن ، وكيف يستطيع قادة الفكر والادب ان يغيروا معالم الصورة المشوهة وبأي شيء ؟

حين قامت اوربا بنهضتها الحديثة منذ نهاية القرن السابع عشر، كان ادباؤها ينهلون من تراث اليونان والرومان ماحقق لهم الخلود في انتاجهم.

فاذا ماالتفتنا إلى تاريخنا وجدنا ماهو اعظم مجداً واكثر عطاء في كل جوانب العلم، والمعرفة والفلسفة والاخلاق. ولسنا بحاجة إلى ان ندلل على هذا القول ولكننا نكتفي بالاشارة إلى ماأثر من تراثنا المجيد في اوربا نفسها بل يكفي ان نشير إلى بعض ماأثر تأثيراً شديداً في فكر الغرب وأدبه من مثل قصص الف ليلة وليلة وقصة معراج الرسول وكتاب الفتوحات المكية وغيرها من المصادر التي كان لها صدى بارز في اعمال الكثيرين من ادباء الغرب ومفكريهم ولاشك اننا أحق بأن نفيد من هذا التراث لاننا اقرب من غيرنا اليه ولانه بالنسبة لنا يمثل الاصالة المتكاملة ولانه يعبر عن بيئتنا كل التعبير وبذلك تنطلق من المنطلق نفسه ونضرب على الوتر عينه ونستعيد ماكان لنا من صور الماضي بكل مايحمل من عطاء زاخر .

والحق ايضاً ان امتنا لم تستطع النهوض من كبوتها الا بعد أن اجتازت الاختبار الكبير الصعب، وكان من حسن الحظ انها اجتازته بنجاح بعودة البارودي وشوقي ومطران والرصافي والجواهري وابو ريشة وغيرهم إلى تراثنا الادبي الذي كان خير منطلق والذي ادى بعد ذلك إلى تأكيد شخصيتنا الثقافية ومعايشة العصر وقد احسن هؤلاء اختيار الطريق تماماً كما فعل شعراء الكلاسيكية في اوربا. لكن المهم عندنا هنا هو ان هؤلاء اجتمعوا على مايحفز ابناء الامة ويقيلها من عثرتها وينهضها من كبوتها فوصلوا الحاضر بالماضي

وتغنوا بالمآثر واعتزوا بالابطال وطاولوا بالفتوحات وفخروا بالامجاد وذكروا الصورة المشرقة والاعمال الكبيرة ونفضوا عن الصورة التي قدم بها العهد الغبار الذي ضبع بعض معالمها فكان لنا ذلك خير حافز ومنه استمد ابناء امتنا القوة والعون . من ذلك اعتزاز حافظ ابراهيم بعمر بن الخطاب في عمريته المشهورة التي يقول فيها : (١)

هذي مناقبه في عهد دولته ... للشاهدين وللاعقاب احكيها
لعل في أمة الاسلام نابته ... تجلو لحاضرها مرآة ماضيها
حتى ترى في بعض ماشادت اوائلها ... عن الصروح وما عاناه بانيها
وحسبها ان ترى ماكان من (عمر) ... حتى ينبه منها عين غافيها

وهكذا يحاول حافظ أن يجلو صورة الماضي من أجل بناء المستقبل .

وفي استلهام التاريخ تبرز وحدة الافكار فاذا بالشعراء يكثرون من الاعتزاز بالامجاد والزهو بالابطال والاشادة بالمعالي والافتخار بذكر العروبة ومن هذا القبيل قصيدة (الأمة العربية) للرصافي التي يقول فيها (٢) :

العرب اكبر أمة مشهورة ... بفتوحها وعلومها وبيانها
فالمجد مأثور بكل صراحة ... عن قيسها ابداً وعن قحطانها
وهم الالى خضعت لهم امم الورى ... من تركها طرا إلى اسبانها
والروم قد نزلت لهم عن ملكها ... والفرس عما شيد من ايوانها

فالرصافي يؤكد هنا على الفتوحات وهو حافز كبير يعيد إلى الاذهان مواقف العرب وبطولاتهم . وقد ربط هذا بلفظة العرب .

ويقول مصطفى الغلاييني (٣) :

وسل ان جهلت العرب اندلساً وما ... أقاموا من الامجاد فيها وبقوا

ومن أشد الشعراء اعتزاز بامجاد العرب الشاعر محمد حبيب العبيدي الذي

(١) ديوانه : ٧٧/١ .
(٢) ديوانه : ١٣٩ .
(٣) ديوانه : ١٠٥

امتلأت قصائده باستعراض تاريخ العرب وفتوحاتهم وهو في هذه القصائد يفاخر الأمم بما قدم الاجداد . وها هو في هذه القصيدة يستعرض كبار الوقائع والاعمال التي خلفها العرب (١) فقال :

ونحن اباة الضيم من مهد تبع اذ الناس غربان ونحن نسورها

. . . . . .

عبرنا لافريقيا وهي منيعة يعز على قوم سوانا عبورها
فقرطبة في الغرب تزهو نجومها وفي الشرق بغداد تضيء بدورها
خلقنا بسيف العدل سيف حضارة يشعشع حتى الان في الكون نورها

والقصيدة طويلة وكلها على هذا النمط من الفخر والزهو بمآثر الاباء والاجداد. ولاشك ان طرق هذه الموضوعات يساعد على النهوض ويحفز الهمم لان القول فيه يقوم على الخيال وانما هو يجسد الواقع التاريخي الذي شهد به الاعداء ومنه أستفادوا . وفيما عدا الاشادة بالفتوحات والتغني بالبطولات اجتمع الشعراء على المباهاة بالتاريخ بصورة عامة حتى لنجد الكثير من القصائد التي استوحت من التاريخ العربي العام معانيها وافكارها وصارت هذه القصائد حوافز شديدة في وقت كانت الأمة العربية بامس الحاجة اليها .

من ذلك قصيدة بشارة الخوري التي كانت لها رفع قوي والتي يقول فيها :(٢):

سائل العلياء عنا والزمانا هل خفرنا ذمة مذ عرفانا
المروءات التي عاشت بنا لم تزل تجري سعيراً في دمانا

وقدصارت هذه القصيدة من الاناشيد التي تغني بها العرب ، ومثلها أيضاً قصيدة خليل مردم التي يقول فيها : (٣):

نفوس اباة ومضاء مجيد وروح الاضاحي رقيب عنيد
فمنا الوليد ومنا الرشيد فلم لانسود ولم لانشيد

---

(٢) ديوان ذكرى حبيب : ٨٥ .
(٣) : ديوان الهوى والشباب : ١٦٥ .
(٤) ديوانه ٢٦٩ .

ويعتز ناجي القشطيني بما كان للعرب من عز وبما طاولوا به من فتوحات ويضرب لذلك أمثله فيذكر كيف دالت دولة الفرس على يد العرب وكيف دخلوا أفريقيا ويعتز بتاريخ أمته العظيم المشرق ويقول : (١)

فسل دولة الفرس عن عزنا وكيف احتفظنا بايوانها
وسل مابنينا بافريقيا من بني اوربا ورومانها
وان شئت فانظر تواريخهم تجد فضل قومي – بعنوانها
وهل أمة ماسوى أمتي جميع العلوم بقرآنها

وهكذا تكون العودة إلى التاريخ عنصراً مهماً من عناصر الحفز ومجالا واسعاً تلتقي عليه يقظتنا القومية .

والجدير بالاشارة ان استلهام التاريخ لدى شعرائنا المحدثين لم يكن منقطعاً عن الواقع ، وهذا منطلق صحيح لان الاعتماد على التاريخ انما جاء لخدمة الحاضر وتغيير ملامح صورته . ومن هنا ارتبط الحاضر بالماضي فاذا بشعرائنا يربطون بين قضايا امتهم وبين مايمكن ان يرتبط بها كحافز من الحوافز . من ذلك قول الياس قنصل : (٢)

انرضى الهوان ونحن قوم ملاءنا صفحة التاريخ فخرا
ايرهبنا الحديد وقد بنينا بحد السيف مجداً مشمخرا

كذلك التقت يقظتهم القومية في النظرة إلى التاريخ نظرة شاملة ، فهم لم يعكسوا صور الفتوحات والبطولات وحسب وانما اشاروا إلى الجوانب المشرقة الاخرى من الحضارة العربية .

فهذا رشيد أيوب يشير إلى تفوق العرب وسيادتهم ولكنه لم ينس الجانب العلمي الذي ارتفعت به ناصية العرب فقال : (٣)

فكم من دولة سدنا وشدنا بهمة أحد من البيض الرقاق مضاربا
فما روت الايام من عهد آدم إلى اليوم عن شعب يفوق الاعاربا

(١) ديوان اللهفات : ٥٩
(٢) المصدر نفسه : ٢٢٣ .
(٣) احمد الحوفي : وحدة الثقافة والتاريخ ٣٤٠ .

وحين يتحدث عبدالمسيح الانطاكي عن العرب يشير إلى روعة ادبهم وكرم اخلاقهم وتحقيقهم الحرية والاخاء والمساواة . وهي جوانب انسانية طالما دعى اليها مفكروا الغرب وساستهم . وفي ذلك يقول : (١)

تنبيك آدابها عنها وقد بقيت مروية عبرة كبرى لقاريها
أما شمائلها الغراء التي بلغت بها الفخار فليس العد يحصيها
فمن مكارم اخلاق الى كرم إلى النفوس تناهت في تعاليها
ان عاهدت حفظت رغم الزمان عهو . . . د الاصدقاء بالأرواح تغديها
بالاشتراكية الكبرى فلا . . رتب تنسيء ذوي الجاه منها عن ادانيها
ولا ضخامة القاب تميزمن بين الاعارب علويها وسفليها
وان أحكامها شورى يصح لها شيوخها اذ تنادى مستشاريها

وهكذا لم يترك الشاعر مكرمة من المكارم ولا مأثرة من المآثر ولا صورة من روعة الخلق وحسن التعامل الا واشار اليه وهذه المعاني كثيرة قل من الشعراء من لم يتطرق اليها . ولاشك انها تشكل حوافز في وقت كنا بأمس الحاجة إلى هذه الحوافز لان اليقظات القومية تبدأ عادة بتذكر التاريخ القومي وبالاهتمام به اهتماماً خاصاً) .(٢)

الحاضر :

الكلام الذي اشرنا اليه في معرض الحديث عن الماضي والذي عكس صورة الامه العربية في بدء نهضتها قد القى على عاتق الشاعر العربي مسؤولية جسيمة ذلك لان الشاعر اشد شعورا من غيره بما يجرى حوله ثم انه اكثر احساسا بالذي يجرى ولعله ايضا يمتلك قوة ابعد في الرؤية يضاف إلى ذلك كله مايتيح له ثقافته من تمثيل دور الطليعة في النضال ، كل ذلك يشكل امام الشاعر مسؤولية قومية يستطيع بها ان يؤدى دوره في خدمتها .

وقد تجلى ذلك في وحدة مواقف الشعراء وفي يقظتهم القومية ايضا . ولعل خطورة الاحداث التي مرت بها الامة العربية في مطلع هذا القرن هي التي

---

(١) سامي الكيالي : الادب العربي المعاصر في سوريا ٨٥ .
(٢) ساطع الحصرى : الوطنية والقومية ٣١ .

وحدت بين هؤلاء الشعراء (وقد ظل موضوع استنفار العرب وحضهم على الثورة .. يحضى باهتمام شعراء الشرق العربي طيلة العهد الاستعمارى ، وهذه الظاهرة في الشعر المعاصر تشير إلى ريادة الشعر للوجدان الجماعي في نفوس العرب واسهامه في زرع بذور الوعي القومي والتمهيد للانتفاضات الشعبية في العالم العربي ولئن اختلفت الاراء حول مدى تأثير الشعر في توجيه ضمير الامة واثارة مشاعرها القومية ليس بوسع احد ان ينكر الدور القيادى للادب في هذا المجال) . (١)

لقد خرجت الامه العربية بعد الحرب الاولى خاصة منهكة القوى مقطعة الاوصال وزادها سوء انها راحت ضحية التآمر الاستعمارى الذي جزء ارضها الكبيرة الى دويلات هزيلة يسيطر عليها الاستعمار اويسوسها حكام هزيلون ربطوا انفسهم بقدر غيرهم وهم لاهون بحظهم من الحياة عن الامة التي يتقاذفها فقر وجهل .

وكان الشعراء انئذ يمثلون الطليعة الواعية المثقفة فوقفوا يجسدون امال الامة ويدعون إلى مقاومة الاستبداد ومقاومة الاستعمار وطرد الاحتلال من البلاد. من ذلك ما قاله الشاعر مصطفى الغلاييني يفضح اساليب الاستعمار ويكتب عن حقيقتها (٢)

لاتخدعونا بالفاظ اذا سمعت تحلو وان نختبرها مر معناها
فما (الحماية) الا السهم يقصدنا وما (الوصاية) الا النار نصلاها

ولعل من إجراء الشعراء في حملتهم على الانتداب ، الرصافي وقد عرف الرجل بمواقفه الصلبة التي لاتلين ، وقد شن حملة قاسية في عشرات من قصائده على الاحتلال والانتداب .

ومن ذلك قوله : (٣)

---

(٢) عمر دقاق : الاتجاه القومي ٣٣٩ .
(٣) عمر دقاق : الاتجاه القومي ٢٧٩ .
(١) ديوانه : ٣٢٩ .

ياأهل لندن ماأرضت سياستكم اهل العراقين لابدوا ولا حضرا
ان انتدابكم في قلب موطننا جرح نداويه لكن لم يزل غبرا
لم يكفه انه للحكم مغتصب حتى غدا يقتل الاراء والفكرا

ويتصل بهذا ، الكلام على المعاهدات والاحلاف التي ربطت العرب بعجلة السياسة الاستعمارية . ولعل شعراء العراق كانوا اسبق من غيرهم الى هذا الميدان نظراً لكثرة ماربط فيه بلدهم بها وللظروف الصعبة التي واجهها العراقيون من سياسة الانكليز . وهذا هو الجواهري يتهكم في تصويره للمحتل في معاهداته واحلافه فيقول : (١)

و (تصريح) يمطله قرى كلوح الطين اذ يدحوه داح
و (حلف) لست ادري من ذهول أ عن جد يدبر ام مزاح
ولست بعارف ابداً حليفاً يهدده حليف باكتساح

وحين يصور الزهاوي المعاهدات العراقية الانكليزية تضيق نفسه فيقول :(٢)

الشعب بالقيد الثقيل مكبل حتى يكاد اذا تحرك يقعد
تلغى معاهدة وأخرى تعقد والشعب يستفتى لها ويهدد

وفي هذا البيت الطريف يحسن الرصافي تشبيه طرفي المعاهدة فيقول (٣) :

والعهد بين الانكليز وبيننا كالعهد بين الشاة والرئبال

ولاشك ان هذه القصائد قد اسهمت (في تعميق الشعور بالخطر لدى الجماهير ، وتبصير العرب بما يحيق بهم من مكر وسوء . ، كما ساعدت في تكوين الوجدان الجماعي العربي عن طريق تركيز الوعي السياسي والافكار والمفاهيم الاجتماعية).(٤)

والجدير بالملاحظة ان هذا الاتجاه في الشعر القومي قد كثر كثرة ملحوظة لدى كل شعراء الامة العربية وخصوصاً من بعد الاحتلال الانكليزي والفرنسي

(١) ديوانه : ١٣٨ .
(٢) ديوان الاوشال : ١١١ .
(٣) ديوانه : ٥١٢ .
(٤) عمر دقاق ـ الاتجاه القومي ٢٨٩ .

للعراق وسوريا ومصر ومن هنا فان هذا الاتجاه في الشعر السياسي يشكل انعطافاً خطيراً في الشعر القومي . وما من شعر اجتمعت عليه يقظتنا القومية في هذه الفترة كهذا الشعر ، لان ماقبله كان يتلهى بموضوعات الخلافة والتعبير عنها والالتفاف حولها . ولكن الفترة التي امتدت من نهاية الحرب الاولى حتى منتصف هذا القرن تميزت بهذا الطابع القومي وخصوصاً بمقاومة الاستعمار وفضح اساليبه الملتوية المصطنعة وهذا يؤكد التحول الكبير في فكر القصيدة السياسية ولعل ذلك ان يتبلور اكثر حين تبرز المشكلة الفلسطينية التي احتلت اسمى مكان في شعر شعرائنا المحدثين كما سنرى .

على ان هذا النضج في الفكر القومي لم يترك الشعراء في مجابهة مع الاحتلال والانتداب فحسب ، فقد كان اولئك يدركون ان ماحل بالبلاد من فساد وتخلف ، ليس سببه الاستعمار فقط ، بل سببه الحكام المتواطئون معه . يضاف الى ذلك ان الشعراء ربطوا بين حال البلاد وبين القائمين على امرها ، ومن هنا تناولوا الحكم بالنقد والتجريح ، والتهكم والتنديد .

من ذلك قصيدة (بغداد في الاسر) لام نزار الملائكة وفيها تندد بالعسف والطغيان وتفضح اساليب الحكام فتقول (١) :

سجلي ياحياة عهد الطواغيت واكتبي العز بالدم السكاب

جرعوها الاس صنوفا فعانت غمم الذل والردى والعذاب
ارهبوها بالكيد في حلك الليـ ـل وبثوا السموم بين الروابي

احكموا حولها القيود فباتت من اسار الطغاة في جلباب
افزعوا الامنين بالنفي والشنـ ـق وجاؤا بكل ظلم عجاب

حشروا في السجون ابطالها الصيـ ـد وغلوا جحافلا للشباب

(١) ديوانها : انشودة المجد ١٠٧ – ١٠٩ .

والقصيدة طويلة وكلها تجري على هذا النمط من تصوير الحياة السياسية ، والتنديد بأساليب الحكام .

ويحتل الرصافي في هذا المجال مكان الصدارة بين شعراء العروبة. وقد سجل في شعره السياسي والاجتماعي صوراً حية باساليب مختلفة ، امتلكت قوة التأثير وروعة التصوير، كقوله يتحدث عن الوزارة ايام الحكم الملكي، وفيها يربط بين الحكام وبين الانكليز (١):

ان الوزارة لاابالك عندنا ثوب يفصل في معامل (لندنا)
لايرتديه سوى امرىء اضحى له طبعاً وداد الانكليز وديدنا

ويتوعد الجواهري في هذا البيت الحكام الفاسدين فيقول :(٢)

لابد ان يثب الزمان وينثني حكم الطغاة مقلم الاظفار

واقتران هذا النقد للحكم بالتحريض على مجابهة الاستعمار، والثورة عليه، ظاهرة طبيعية لان منطلقها وحدة الفكر القومي، التي لاتفرق بين طغيان الحاكم وقهر المستعمر. ومن هنا كان اختلاط الموضوعات السياسية في معانيها المختلفة، ولاضير في ذلك، لان الهدف في كل الاحوال تطهير بلاد العروبة من الاستعمار وظلالة الحكام.

ولعل اخطر المسائل التي ارتبطت بحركة الجماهير العربية هي مسألة فلسطين وقد زادت مأساتها شعبنا العربي قدرة على التحمل كما حققت وعياً قومياً لم يسبق له مثيل، وعززت نضاله، وعمقت تنظيماته الفكرية والسياسية، ومن هنا شغل الادب العربي وشعره بخاصة، نفسه بها، بل لقد ارتبط الشعر بها ارتباطاً عضوياً لاعهد له بمثله من قبل.

وجدير بالذكر أن الشاعر العربي قد التفت إلى هذه القضية منذ ثلاثينات هذا القرن، وان موقف شاعرنا المعاصر هو وليد جيل من الشعراء رافقوا عز الدين القسام وثورته، وان شعراء العروبة كلهم أدلوا بدلائهم في معالجة هذه

(١) ديوانه : ٤٩٦ .
(٢) ديوانه : ١٢٠.

المسألة وبيان خطرها. فاذا كان الامر كذلك فانه يصير دليلاً على وعي شاعرنا الحديث وعلى يقظته القومية، لان القصيدة العربية الحديثة قد رافقت المشكلة الفلسطينية وهي في مهدها الاول. ولذلك فانه من الصعوبة بمكان ان يستطيع دارس الادب استقصاء كل ماقيل بشأن هذه المسألة.

والحق أيضاً ان مامن شاعر في قطر من أقطار العروبة، قد أهمل معالجة المشكلة الفلسطينية، ولعل السبب، أنها استطاعت توحيد جهود الشعراء على مختلف مذاهبهم واتجاهاتهم، الفكرية، القومية والدينية ومن هنا كانت هذه الكثرة الكاثرة من الشعراء الذين عالجوها بروح قومية تمتلك الاصالة والعمق.

ولو شئنا ان نتابع قصائد الشعراء الفلسطينيين لاتعبتنا المتابعة ولكننا نذكر على سبيل الاستشهاد محاولة الشاعر ابراهيم طوقان ايقاظ قومه بتذكيرهم بخطر الهجرة اليهودية اذ يقول: (١)

بني وطني هل يقظة بعد رقدة ... وهل من شعاع بين تلك الغياهب
يهاجر ألف ثم ألف مهربا ... ويدخل الف سائحاً غير آيب
هو الالف لم تعرف فلسطين ضربة ... أشد وأنكى منه يوماً لضارب

الا تدل هذه الابيات على وعي عميق للمشكلة الفلسطينية؟ لاشك في ذلك وأشد من ذلك وعياً تنبيه الشاعر نفسه على خطر بين الارض التي كانت بداية الاستيطان لليهود، وهو وعي يدل على فهم للخطر الذي يتهدد العرب من جرائه، ويقول: (٢)

يابائع الارض لم تحفل بعاقبة ... ولاتعلمت ان الخصم خداع
لقد جنيت على الاحفاد والهفي ... وهم عبيد وخدام واتباع
وغرك الذهب اللماع تحرزه ... ان السراب كما تدريه خداع

ولقد لهج شعراء فلسطين بذكر قرار التقسيم واستنكروه وبكوا من أجله ولاموا الحكام والأمة بسببه من ذلك قول محمود الحوت رافضاً ماقرره المتفقون عليه: (٣)

(١) كامل السوانيرى: الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين: ٢٠٧.
(٢) المصدر نفسه: ٢٠٨.
(٣) المصدر نفسه: ٤٤٤.

قـل للألـى اتـفقـوا علـى تمزيقهم وطـن الحـدود
ان الـقـرار سيمحـي بـدم الشهيـدة والشهيـد

ويبكي عيسى الناعوري ماحل بفلسطين بعد التقسيم في ابيات مؤثرة فيقول : (١)

لهفي على وطن الاباة تمزقت أشلاؤه بـبرائـن الظـلام
وديـاره واحسـرتـاه لديارة حمل تمـزق في يد الضرغـام
عاث الغريـب بها وشـرد أهلها فتفرقـوا في الارض كالاغنـام

وهكذا تمتلك هذه القصائد بعداً في الرؤية ووعياً للمشكلة وتقديراً لخطرها وكأن هؤلاء الشعراء كانوا يتنبأون بما سيحل بالامة بعد قرار التقسيم .

وينقم الشاعر أبو سلمى على الحكام العرب الذين باعوا الارض المقدسة ودنسوها حين خانوا القضية الكبرى فيقول : (٢)

يارفـاق الـدهر هـل فـرقكم في الورى عذر عدو أم محب
زعماء دنسـوا تـاريخكـم وملـوك شـردوكم دو ذنب

وللشاعر مصطفى الكيلاني قصيدة مماثلة (٣)

ويثور مصطفى الكيلاني على العرب ويحرضهم على حمل السلاح لاستعادة الحق المغتصب ويقول : (٤)

بني يعرب ماللسيف في كفكم نبأ فما أضيع الامال فيكم وأفينا
أيعرب يدري أن غدوتم أذلـة لعمري لقد سودتُم وجه يعربا
فلا تدعوا ـ ميناً ـ أبوه يعرب أعوذ بربي أن يكون لكم أبا

وهكذا يبدو التأكيد على عنصر العروبة في هذه الابيات وذلك لان المشكلة الفلسطينية ارتبطت بها منذ بدايتها .

---

(١) المرجع السابق : ٤٥٧ .
(٢) المرجع نفسه : ٤٥٩ .
(٣) تراجع في المرجع نفسه ص ٤٦١ .
(٤) المرجع نفسه : ٤٦٢ .

وفي المعنى نفسه (الحض على الثورة) قصائد كثيرة لعبد الرحيم محمود وإبراهيم طوقان وعبدالرحمن كيالي ووهيب رشيد العطار وأبو سلمى (١) .

وقد أثارت قضية فلسطين موضوعات كثيرة ومعاني عديدة ، ولعل من أهم المعاني التي تدل على يقظة قومية عميقة التأكيد على التضامن والإخاء . من ذلك قول إبراهيم طوقان : (٢) .

لاتفتحوا باب الشقاق فإنه باب على سود العواقب مغلق
والله لايرجى الخلاص وأمركم فوض وشمل العاملين ممزق
أين الصفوف تنسقت فكأنما هي حائط دون الهوان وخندق
أين القلوب تآلفت فتدافعت تغشى اللهيب وكل قلب فيلق
أين الاكف تصافحت وتساجلت تبني وتصنع للخلاص وتنفق

وقد أشار إلى هذه المعاني أغلب الشعراء الفلسطينين بل مامن موضوع يخطر على بال الا وقد عالجه الشاعر الفلسطيني بوعي الفكر وعمق النظرة وحرارة العاطفة وصدق التجربة.

اما شعراء الاقطار العربية فقد هبوا مسرعين يعبرون عن الوجدان الجماعي الذي يؤكد اليقظة القومية ، واذا كان الشاعر الفلسطيني قد عاش الاحداث بنفسه فان الشاعر العربي في كل اقطار العروبة قد عاشها بوجدانه ، فهذا علي الجارم يفدى نفسه من اجل قلب العروبة النابض ، ولذلك فهو يحرض أبناء العروبة على الجهاد ويدفعهم إلى الموت ويقول : (٣)

نفسي فداء فلسطين وما لقيت وهل يناجي الهوى الا فلسطينا
قلب العروبة ان تطعنه زعنفة كنالها ولاشقاها طواعينا
بني العروبة هذا اليوم يومكم سيروا إلى الموت ان الموت يحينا

في الموت حياة للعرب.... هكذا يرى علي الجارم بوعيه ويقظته ، ان افكار الشعراء في قصائد فلسطين لترتفع عن المستوى المطلوب في فكرها وعاطفتها.

---

(١) تراجع في المرجع نفسه : ص ٢١٥ – ٢١٩ .
(٢) المرجع نفسه : ٢١١ .
(٣) المرجع السابق : ٤٩٤ .

ولقد اختلفت مواقف الشعراء احياناً تجاه نكبة التقسيم فلقد استدرجت العاطفة الصادقة بعض الشعراء او قل أغلب الشعراء فاذا هم يبكونها دماء ودموعا فهذا هو الشاعر عمر أبو ريشة يقف خاشعاً حينا باكيا حيناً آخر، اذ هو يسمع بما جرى لارض فلسطين ويقول: (١).

أمتي هل لك بين الامم ... منبر للسيف أو للقلم
اتلقاك وطرفي مطرق ... خجلا من أمسك المنصرم
ويكاد الدمع يهمي عابثا ... ببقايا كبرياء الالم
أمتي كم غصة دامية ... خنقت نجوى علاك في دمي

وفي المعنى نفسه يتوجع الشاعر أنور العطار فيعبر عن ألمه ويقول : (٢)

عليك سلام العرب يندي مواجعاً ... ويشرب دمع العين غرباً إلى غرب
يا طول شجوي ان خلصت إلى ... ولم ترجعي يادارة العرب للعرب

ويتصدى خالد الشواف — من العراق — لهذه القضية وينعى على الذين اسهموا بخلقها ويتهكم بالواقع العربي ويقول : (٣)

بالأمس كانت فلسطين قضيتنا ... والقدس في يومنا والباقيات غدا
ساسة العرب سقيتم شعوبكم ... من كرمة الخير القتال ماقصدا

ومثل هذا المعنى عند الجواهري وام نزار والجواهري وغيره .

ويتحسر الشاعر السعودي فؤاد شاكر على ضياع فلسطين ويقول : (٤)

واضيعتاه وواها أيها العرب ... فيم الجمود وهذا الكون يصطخب

ومثل ذلك للشاعر السعودي حسن القرشي وطاهر زمخشري وابراهيم هاشم ومحمد حسن عواد. ولعل من المهم ان نشير إلى قصيدة مطلعها :

اصبري في الحادث المستفحل ... انما العزة ان تستقتلي

---

(١) المرجع السابق : ٥١١ .
(٢) المرجع السابق : ٥١٤
(٣) المرجع السابق : ٥٢٥ .
(٤) المرجع نفسه ص ٥٣٤ .

كان الشاعر العراقي محمد بهجة الاثري قد نظمها وهو يتنبأ بالخطر الذي ينتظر أرضنا المقدسه (١) .

ولو حاولنا ان نمثل لشعراء الاقطار العربية كلها لطال بنا الوقت ولكننا نكتفي بذكر بعض من نعرف أنه عالج المسألة الفلسطينية خلال النصف الاول من هذا القرن وهم : من الكويت عبدالله زكريا الانصاري ومن حضرموت: أحمد السقاف وعلي أحمد باكثير ومن السودان عبدالرحيم عثمان ومن ليبيا أحمد فؤاد شبيب ورفيق المهدوي ومن المغرب محمد اليمني وصالح الخرفي ومن المهاجر الامريكية الياس فرحات وجورج صيدح والشاعر القرويَ ومن مصر العوضي الوكيل ومحمد عبدالغني حسن ومحمد الماحي وكمال النجمي ومحمود حسن اسماعيل واحمد زكي ابو شادي وغيرهم .

المستقبل :

الحديث عن المستقبل يتعلق بمصير الامة وحلم الاجيال بتجسيد آمالها وبناء مستقبلها والعمل على اسعاد الابناء وتحقيق مايصبو اليه الاحفاد .

ولئن استطاعت امتنا ان تحقق انتصاراتها بطرد المستعمرين من البلاد وتحقيق حياة افضل لجماهير الامة الا أنها من جانب آخر خاضت ولاتزال تخوض أشد المعارك ضد التخلف والرجعية والصهيونية وليس سهلا على امتنا ان تنهض بأعباء هذه المعارك وهي ممزقة الاوصال مفككة الاجزاء . والاستعمار بدوره يدرك ذلك ولهذا فانه طالما استهدف امتنا بتفريق الشمل وبث الاحقاد بين ابناء الوطن الواحد وامتنا تدرك هذا منذ خرجت من الحرب العظمى الاولى أوصالا ممزقة ودويلات مفرقة . ولذلك كان حلم الاجيال ولايزال ان تلتئم هذه الامة في وحدة واحدة تسد كل ثغرة وتقطع على الاعداء كل فرصة للنيل من كرامتها وعزتها.

---

(١) ديوان ملاحم وازهار : ١٣٠.

وقد اسهم شعرنا الحديث في الدعوة إلى هذا الهدف النبيل وراح الشعراء منذ مطلع هذا القرن بل ومن قبله يحضون ابناء الامة على بناء الوحدة العربية ويجسدون في قصائدهم احلام الامة وعواطفها القومية واهدافها الانسانية.

ومنذ اكثر من نصف قرن دعا الكاظمي دعوة صريحة إلى اقامة الوحدة ببنائها تحت علم واحد وقائد واحد وقال : (١)

ايها العرب تعالوا نلتقـي في طريق المجـد حتى نصلا
نلتقي تحـت لواء واحـد سجل النصر لـه اذ سجـلا
ونولي الامر فينا قائـدا يبعث العزم ويحيي الامـلا

— — — —

هو للديـن وللدنيا يـد تطلق الايدي وتبرى الشللا

واذا كانت المفاهيم الدينية تختلط في هذه الابيات مع المفاهيم القومية فذلك لان القومية العربية لم تتضح فيها آنئذ خطوطها الفكرية كما هي عليه الآن . الا انه مما لاشك فيه ان هذه الابيات تصدر عن حس عربي خالص وتؤكد حرارة العاطفة القومية .

ومن الانصاف ان نذكر ان هدف الوحدة الذي تدعو اليه جماهير امتنا العربية في كل اقطار العروبة ، كان الامل الذي داعب شعراءنا ومفكرينا قبل نصف قرن من الزمان وأكثر ، وكانت العواطف الصادقة هي التي تهتف به وتدعو اليه .

من ذلك الدعوة الصريحة التي نادى بها الشاعر العراقي محمد بهجة الاثري بقوله : (٢) .

لعمر العلى لن يبلغ (العرب) العلـــــــى
وهم فرق شتى وشمل مدمر

---

(١) ديوانه : ٢٩٥/١.
(٢) ملاحم وازهار : ١٨٩ .

ألا فاسلكوها وحـــدة عربيـــــــة

لها من هدى الاسلام روح ومظهر .

واذا كان اختلاط المفهومين ، العربي الاسلامي ، واضحا في هذه الدعوة فان في أبياته التالية دعوة عربية تمتلك الوعي الصادق : (١)

الزغـــاريـــد هاتفات سرورا والاغاريد هازجات هـــديلا
لمست في بغداد روحـا يعربيا فأوسعته قبـــــولا
تلك بغداد في ذراها ونجد وبلاد الشام عرضا وطولا
ان ماكان أمس حلما تجلى واقعيا وصدق التأميـــلا
يكذب المرجفون ما ثم الا أمة وحدت هـوى وسبيـلا

لاشك ان في هذه الدعوة فكرا واعيا وعاطفة صادقة.ويبقى من المهم ان نعرف ان شاعرنا هذا قد نظم ابياته هذه والابيات التي سبقها سنة ١٩٣٦ ولهذا التاريخ أهمية في الحكم على القيمة التاريخية والفكرية للابيات وذلك معناه ان شعرنا العربي الحديث كان اصيلا كل الاصالة في دعواته الفكرية وا هداافة السياسية .

وفي ديوان (انشودة المجد) لام نزار الملائكة تتلألأ قصائد الوحدة ، بلى انها تشكل الخيط الفكري الذي تتضح فيه وحدة القصائد وموضوعاتها بل نحن نجد فيما عدا صدق العاطفة وضوحا في الفكر ونضجا وذلك في قولها : (٢)

تلك امنيات الفؤاد المعنـى أشرقت في جوائها الناظرات
فاسر ياقلب في مواكبها الزهر وناغ المفاخر الحاليات

أما هذا الحلم فهو عند الشاعرة الامل الذي يربط الحاضر بالماضي :

هات انشودة البطولـــة واخشع دونها ولتعد إلى الذكريـــات
ومسيل الدماء والعسكر الجرا ر والسادرين في الفلوات

(١) المرجع نفسه : ١٩١ .
(٢) ديوان الثورة المجد : ٨٠ .

وصليل السيوف والهجمات السمـــــــر والقائمين بالمعجزات
انها العزة المهانـــة ثارت في حنايا الضلوع كالجمرات

أرايت كيف ارتبط تحقيق الوحدة با (العزة) و (انشودة البطولة) و (المعجزات) و (صليل السيوف) و (امنية الفؤاد) وغيرها من معاني الصمود الا يدل هذا الربط على وعي بخطورة الوحدة واهميتها ؟

ان الدعوة إلى الوحدة العربية — وفيها مافيها من صدق العوا طف ونبلها قد امدت القصيدة العربية الحديثة بطاقة فكرية لايستهان بها .

وهذه الطاقة التي لمسنا بعض نبضاتها في قصائد الاثري و أم نزار هي النبع الثر الذي سرت مياهه إلى الاجيال اللاحقة من بعدهم فاذا هي تصبح اشد عمقاً واكثر نضجا ، كما نرى ذلك في قصائد جيل الستينات ذلك لان وعي جماهير الامة صار يدعم قصائد الشعراء ويدفع بها إلى هذه الدعوات التي صارت لازمة من لوازم تجسيد امل الجماهير .

ومن هنا فان هذه الدعوة إلى الوحدة قد اكدت اليقظة القومية التي ارتبطت ارتباطا عضويا بالمواقف القومية وذلك لان (أهم مزايا الامة العربية ، أن شخصيتها من الناحية الثقافية تتجاوز حدود ارضها وابنائها إلى رقعة واسعة من العالم، وانها حملت إلى الناس ثقافة انسانية تلقفتها شعوب كثيرة وتأثرت بها أمم وأجيال) (١).

---

(١) : محمد المبارك : الامة العربية في معركة تحقيق الذات : ١٩٩.

مراجع البحث

الكتب :

١. الاتجاه القومي في الشعر الحديث ، عمر الدقاق ، القاهرة ١٩٦١ .

٢. الاتجاهات الادبية في العالم العربي الحديث . انيس المقدسي ، بيروت ١٩٦٧

٣. الادب العربي المعاصر في سوريا . سامي الكيالي ، القاهرة ١٩٥٩ .

٤. الادب والقومية العربية . اسحق موسى الحسيني . القاهرة ١٩٦٥ .

٥. ادبنا وادباؤنا في المهاجر الامريكية. جورج صيدح ، بيروت ١٩٥٧ .

٦. الامة العربية في معركة تحقيق الذات . محمد المبارك . دمشق ١٩٥٩ .

٧. تطور الفكر القومي . يوسف عز الدين بغداد ١٩٦٧ .

٨. ثورة العشرين في الشعر العراقي . ابراهيم الوائلي بغداد ١٩٦٨ .

٩. دراسات في القومية. منيف الرزاز– والدوري واخرون، بيروت ١٩٧٠

١٠. دور الادب في معركة التحرير والبناء . مؤتمر الادباء العربي الخامس بغداد ١٩٦٥ .

١١. الشبيبي شاعرا . قصي سالم علوان – بغداد – ١٩٧٥ .

١٢. الشعر العربي الحديث في مأساة فلسطين . كامل السوافيري – القاهرة ٩٦٤

١٣. القومية العربية . أحمد فؤاد الاهواني . القاهرة – ١٩٦٠ .

١٤. القومية العربية . حازم نسيبة – بيروت – ١٩٥٩ .

١٥. وحدة الثقافة والتاريخ في الشعر العربي الحديث . احمد محمد الحوفي القاهرة – ١٩٦٥ .

١٦. وحدة اللغة والوطن في الشعر العربي الحديث – أحمد محمد الحوفي القاهرة – ١٩٦٤ .

١٧. الوطنية والقومية . ساطع الحصري . بيروت ١٩٥٧ .

١٨. يقظة العرب . جورج انطونيوس بيروت. ١٩٦٢ .

الدواوين :

١. ديوان الياس فرحات . سان باولو . ١٩٣٢ .
٢. ديوانه الاوشال . الزهاوى . بغداد ١٩٣٤ .
٣. ديوانه انشودة المجد . أم نزار الملائكة . بغداد ١٩٦٨ .
٤. ديوان بدوى الجبل صيدا ١٩٢٥ .
٥. ديوان حافظ ابراهيم . القاهرة ١٩٣٣ .
٦. ديوان خليل مردم . دمشق ١٩٦٠ .
٨. ديوان ذكرى حبيب . محمد حبيب العبيدى . الموصل ١٩٦٦ .
٩. ديوان الرصافي . القاهرة ١٩٥٣ .
١٠. ديوان الشوقيات . أحمد شوقي . القاهرة ١٩٥١ .
١١. ديوان علي الجارم . القاهرة ١٩٤٧ .
١٢. ديوان فؤاد الخطيب . القاهرة . ١٩٥٩ .
١٣. ديوان فوزى المعلوف . بيروت . ١٩٥٧ .
١٤. ديوان القروى . سان باولو . ١٩٥٢ .
١٥. ديوان الكاظمي . مصر ١٩٤٨ .
١٦. ديوان مصطفى الغلاييني . حيفا ١٩٢٥ .
١٧. ديوان ملاحم وازهار . محمد بهجة الاثرى . القاهرة ١٩٧٤.
١٨. ديوان وحي الاربعين . عباس محمود العقاد . القاهرة . ١٩٣٣ .
١٩. ديوان الهوى والشباب . بشارى الخورى . القاهرة ١٩٥٣ .